

النهضة العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية

في المملكة العربية السعودية في الخمسين عاما الماضية

كانت محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية قد طلبت من الأستاذ احمد طه السنوسي أن يلقي بها محاضرة في موضوع « النهضة العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية في الخمسين عاما الماضية » نظراً لاختصاصه بموضوعات الشرق العربي ، وقد لبي الأستاذ طلب الإذاعة ، فألقيت المحاضرة فيها منذ شهرور ؛ والمحاضرة وإن كانت موجزة بالرغم من كبر الموضوع وسعته إلا أنها قد جاءت شاملة للمناحي التي تعرض لها الأستاذ المذكور ، ويسر « البعثة » أن تقدم إلى قرائها الكرام هذا الموضوع الطريف ، ليطلعوا على مدى تقدم البلاد الشقيقة في مضمار العلم والثقافة والإجتماع .

« البعثة »



حضرات المستمعين الكرام :

... في الخمسين عاما الماضية خطت المملكة السعودية خطوات جريئة في سبيل النهضة العلمية والثقافية فضلا عن خطواتها الواسعة في سبيل النهضة الاقتصادية والاجتماعية ، ويرجع الفضل في كل هذه الخطوات إلى العاهل الكبير الملك عبد العزيز آل سعود ورجاله العاملين .

ولقد كان التعليم في هذا البلد العربي في الأعوام السالفة بطيء الخطوات ، ولكنه في السنوات الأخيرة لاقى كثيراً من التشجيع من أولياء الأمور ، وكثيراً من الإقبال من أبناء الشعب ؛ فكثر لذلك المدارس الثانوية والابتدائية وعم التعليم حتى وصل إلى أبناء البادية أيضاً ، ولقد قامت معاهد علمية ذات رسالات جليلة كمدرسة تحضير البعثات ومقرها في مكة ولها فروع في المدينة وجدة والطائف والأحساء ، وقد تخرج منها الكثير من البعثات التي ذهبت إلى مصر ولبنان وإلى أمريكا لإتمام الدراسة هناك ، وكالمعهد العلمي السعودي القائم في مكة أيضاً الذي يخرج المدرسين والعلماء والقضاة ، ومدرسة دار التوحيد القائمة في الطائف والتي أنشئت منذ عامين للدراسات الدينية : كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه وما إلى ذلك ، بيد أن هذه المدارس بمثابة مدارس ثانوية تحضر البعثات وتخرج

المدرسين والعلماء للدارس والمساجد ... والملاحظ أن الاهتمام بالغ بالتعليم الديني والدراسات الإسلامية ، والسبب في ذلك أن المملكة السعودية هي البلد الوحيد الذي ما لبث يأخذ بأحكام الإسلام وقوانين الشريعة الإسلامية ويطبقها في قضاؤه ومعاملاته ، وهذا يقتضي تهيئة نفر غير قليل من علماء هذه الشريعة ودارسى تلك الأحكام . . . ولقد كان من نتائج هذا الإهتمام إنشاء كلية الشريعة الإسلامية وكلية اللغة العربية ، وتوجه نية الحركة التعليمية إلى جعل هاتين الكليتين مع كليتي الآداب والعلوم نواة لجامعة سعودية تشبهاً بجامعات الدول الراقية واحتذاءً بجامعات مصر خاصة ، وقيام مثل هذه الجامعة معناه نضوج الثقافة السعودية والوصول بها إلى ذروة محترمة كغيرها من الثقافات ، ومعناه أيضاً عدم الاقتصار على الدراسات الدينية التي بذ الإهتمام بها كل الدراسات في السنوات الماضية في المساجد والكتاتيب وما إليها .

وللنهضة الثقافية والعلمية في مصر أثر كبير في هذه النهضة في مملكة آل سعود ، فالمناهج الدراسية في هذه المملكة تتبع نسق نظام المناهج المصرية مع بعض تعديل يلائم البيئة والأحوال ، والمملكة السعودية في ذلك شأنها كشأن الكويت والبحرين في الناحية التعليمية ، كما أن

للأهرم الشريف يبدأ طولى في المساهمة في التعليم الديني في هذه المملكة التي نهضت في حياتها العلمية وتطلب ذلك منها أن تضاعف ميزانية معارفها إلى سبعة ملايين ريال سعودي قابلة للزيادة لا للنقص

وبهذا نرى أن الحالة الثقافية في المملكة السعودية لا بأس وهي تقترن دائماً على ما أرى باتجاهين وتتسم بيزتين ، أولهما الدين ، وثقافته كانت واسعة الانتشار طيلة الحسين عاما التي انقضت بواسطة المدارس ، ولأن الشريعة الإسلامية مطبقة وسارية المفعول ، والميزة الثانية ميزة الحج ؛ فالبلاد السعودية تستقبل كل عام آلافاً من مختلفي الأجناس يحجون إلى كعبتها ، وهذا يقضى الإختلاط والتعامل ، ومن هذا تلونت الثقافة السعودية بمتباين الألوان ، وتأثرت بكثير من التأثيرات والمعلومات الجغرافية والإقتصادية والنفسية والحلقية والأدبية وغيرها التي أتت مع هذه الألوف المؤلفة وتلك الأجناس المتباينة ، وهذه الميزة الثانية ميزة قديمة اصطبغت بها الحالة الثقافية في بلاد آل سعود في السنين الحسين السالفة وما انقضى قبلها من سنين .

ولم تكن الثقافة الصناعية قد لاقت صدراً رجباً طوال هذه الأعوام السالفة ، إلا ما كان منها شائعاً تبعاً لظروف الحج وأسواقه ، ولكن تتجه البلاد السعودية اليوم إتجاه الثقافة الصناعية الحديثة كانشاء مدارس صناعية تدرس فيها الصناعات المتعلقة بالكهرباء والسيارات والتجارة ودباغة الجلود وغير ذلك .

وللصحافة كما لا يخفى أثر بين في النهضة الثقافية في هذه البلاد ، لو لا أن الملاحظ أن الصحافة الخارجية وخاصة المصرية منها تلاقى رواجاً واحتراماً وتأثيراً كبيراً ملموساً في حالة المملكة السعودية الثقافية ، وهذه المملكة تشبه في ذلك الكويت والبحرين وعدن واليمن وغيرها من البلاد العربية التي تتأثر بصحافة مصر الثقافية تأثيراً ملحوظاً ولا سيما بفضل المؤلفات المصرية في شتى النواحي الأدبية والثقافية والإجتماعية . . . أما من ناحية الشعر والأدب ، فالحجاز بيئة هذا الشعر الأولى ، وفيه شعراء فطاحل مبرزون ، يسد إني لحظت أن الشعر الحجازي جرى في الأعوام الحسين السالفة على طريقة «الرواية» إلا في السنوات الأخيرة حيث طبعت الدواوين والكتب ، والرواية أظهر أثراً وأوسع انتشاراً في الحجاز ، وخاصة عند البدو الذين

لا يفقهون من المطبوعات قدر ما يستفيدون من السماع ، وهم طيلة هذه الحسين سنة لم تؤثر في ثقافتهم هذه المطبوعات إلا طفيفاً ، بخلاف أبناء المدن الذين أخذوا العلم ونالوا قسطاً من المعرفة سواء على الطريقة القديمة أو على يد المدارس الحديثة . . . ومن المنتظر أن يكون للبعوثين الذين ترسل بهم المملكة السعودية إلى الخارج أثر طيب وتأثير بالغ في النهضة الثقافية حالما يرجعون إلى ديارهم ويعملون جاهدين على تطبيق ما استفادوه في أنحاء الحجاز .

وأما عن النهضة الإقتصادية ، فقد تقدمت في البلاد السعودية في السنوات الأخيرة بالنسبة إلى ما كانت عليه الحالة الإقتصادية فيها في الأعوام الحسين السالفة ، وأرى أن ضعف تطور النهضة الزراعية في هذه البلاد يرجع إلى أسباب أذكر منها أنه لم يكن للزراعة في ميزانية الدولة شيء يذكر ، وأنه ليس ثمة أنهار جارية تعتمد عليها الزراعة ، وإنما تعتمد على الأمطار وهي نادرة من جهة وغير منتظمة من جهة أخرى ؛ وهذا هو السبب الذي من أجله اهتم الأسلاف بإقامة السدود والحواجز التي تحجز ماء السيول لإستخدامها في الري . . . وقد ظلت المساحات المزروعة في هذه البلاد تقدر بحوالى مائتين وخمسين ألفاً من الأفدنة ، وقد رصد في الميزانية السعودية أخيراً حوالى سبعة ملايين ريالاً سعودياً للعمل على إنهاض الزراعة بعد أن كانت حركتها خامدة وإنتاجها ضئيلاً لا يتناسب مع بلد يتطلب موارد كثيرة غير موارد الحج التي نقصت وتضعفت بسبب الحرب العالمية وبسبب استعمالها في تنظيم شؤون الحج وراحة الحجاج . . . على أنه يوجد إلى جانب مورد الحج في المملكة السعودية موارد أخرى كمورد الزكاة ، وهذا المورد أيضاً يتأثر بقلة الأمطار أو بغزارتها ، فهو مورد غير دائم إلا متى عمل الحجاز على تنظيم شؤون الزراعة بحيث ينتعش الإنتاج ويسد العوز الذي تتطلبه النهضة الإقتصادية فيه ، وأضيف إلى ذلك مورد « الجمارك » ، وهو مورد هام يدر على الدولة السعودية كثيراً من الأموال ، كما لا ننسى مورد استثمار المعادن والاستثمار الصناعي وحاصلات أملاك الدولة . ومن هذه الموارد وتذبذبها بين الصعود والهبوط نشأت مشاكل إقتصادية هامة طوال الحسين عاما الماضية ، مما حدا بالمملكة السعودية إلى الاهتمام بمسألة البحث والتنقيب عن النفط ، ذلك الذهب

وجهة نظر

إدارة المعارف ، وإدارة الصحة وكذلك دوائر « الجمارك » والمالية والبلدية الخ . . . كلها دوائر تدير مختلف نواحي الحياة في البلاد .

ولهذه الدوائر وللقائمين عليها الفضل الكبير فيما وصلت إليه البلاد من تطور في هذه السنوات القلائل الأخيرة ، على أننا نجد بعض التعارض ، وعدم التناسق بين أعمال هذه الدوائر . ففي « المعارف » مثلاً دائرة كبيرة تقوم بالأعمال العمرانية الخاصة بها ، وكذلك في « إدارة الصحة » . فنجد الشرفين على هاتين الدائرتين وغيرهما يشغلون أوقات فراغهم في مسائل بعيدة عن اختصاصاتهم .

فإذا بهم « المعارف » أو « الصحة » مثلاً أن تُسلم هذه الأعمال العمرانية إلى « إدارة الأشغال » التي هي من اختصاصها . كإنشاء المدارس والمعاهد التعليمية للمعارف ، وإقامة المستشفيات والمصحات التي تحتاجها الصحة ؟ ! ! وهكذا في بقية الدوائر .

إن « إدارة الأشغال » هي التي يجب أن تقوم بمثل هذه الأعمال وهي التي يجب أن تجهز بالمهندسين والفنيين لكي تُعهد إليها جميع أعمال الدوائر الحكومية ، حتى يتفرغ المسؤولون في تلك الدوائر إلى اختصاصاتهم والقيام بها على أكمل وجه

ولاشك أن « إدارة الأشغال » لم تنشأ إلا للاضطلاع بمثل هذه المهام الحكومية .

« . . . »

هذا عرض سريع لكل نواحي النهضة في المملكة العربية السعودية منذ أول القرن العشرين إلى اليوم . وقد رأينا أن هذه المملكة الشقيقة قد توصلت بفضل جهود عاهلها العظيم ، إلى طور جديد ومركز لا بأس به ، وأرجو ألا تقف عند هذا المركز ، بل تستمر في رقيها ونهضاتها إلى الأمام وإلى الأمام فقط . . . !

احمد طه السنوسي

الجيزة

الأسود في أراضيها ، وقد لوحظ أنها تحوى في باطن أراضيها كميات غير محدودة من هذا المعدن ، تعتبر مورداً رئيسياً هاماً بالنسبة للثروة القومية ، فضلاً عن قابليته للزيادة مع دوام البحث والكشف ، وقد ظلت نسبة المستخرج من البترول تتزايد بسرعة نظراً لوجود الدلائل على وفرة كميات النفط في البلاد السعودية . وتعتبر آبار المملكة السعودية موارد هامة للنفط إلى جوار آبار البرقان في الكويت وآبار البحرين والعراق وسواها من آبار الشرق العربي التي تتسابق الشركات الأمريكية والانجليزية إلى استغلالها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن النهضة الاقتصادية في مملكة آل سعود ، قد اهتمت أيضاً بالمعادن المدفونة غير النفط ، ويوجد منها في هذه المملكة الذهب والفضة والزنك والرصاص ، وقد أخذت « نقابة التعدين العربية السعودية » أخيراً إمتاز استخراج المعادن الموجودة في المملكة غير إمتاز استخراج البترول .

بقي أن أشير إلى النهضة الاجتماعية في الحجاز ، وأقول إن الحجاز هو البلد الوحيد الذي يدلف في حياته الاجتماعية على أكثر التقاليد العربية الصحيحة ، والخلق العربي الأصيل كما أنه البلد الوحيد الذي ما زال يحترم أحكام الشريعة الإسلامية ويأخذ بها ، وعلى هذا نجد أن المثالية في الأخلاق والتقاليد متمثلة فيه سائدة في حياته الاجتماعية .

أما عن مستوى المعيشة في هذه المملكة السعودية ، فهو أقرب إلى ارتفاع في المدن الحجازية عنه في البادية وقراها ، بيد أنه قد بات من المسلم به أن الحكومة السعودية لا تألو جهداً في الإهتمام بهذا المستوى ، سواء في المدن أو عند البدو ، وأنا أرى أنها لو استطاعت أن ترفع هذا المستوى لدى أبناء البادية ، فإن ذلك سيدل الدلالة كلها على أن مستوى المعيشة في كل الحجاز قد أصبح مرتفعاً وقابلاً أيضاً للارتفاع .

ويمكن أن يقال اليوم عن العمران في الحجاز أن الفكرة القائلة بأن بلاد العرب ما هي إلا خيام وأكواخ يجب أن تمحى من الأذهان ، لأن هذه البلاد قد قطعت منذ مؤتلف القرن العشرين شوطاً بعيداً في إنشاء المدن وإصلاحها وتشيد الدور والمنشآت وتعميد الطرق وتخطيطها وشق طرق المواصلات وما إلى ذلك .